الشفاعة الحسنة

في أول شهر من تعييني معيداً في قسم السُّنَّة في كلية الشريعة بالقصيم أتاني أحدهم محسناً بي الظن، يطلب مني الشفاعة لابنه حتى يدخل الكلية، فأخبرته بأني أعرف ابنه وصلاحه واستحقاقه، ولكن لِتَوِّي قد قُبلتُ في الكلية، فلست أملك ذاك الجاهَ الذي تقبل فيه شفاعتي، فأخذ يُلحُّ علي، ويقول: بلى تقدر!

وبعض الناس يحسب أن الموظف إذا كان في قطاع أو دائرة فإن بيده الحل والعقد، والقبول والتوظيف!

وطفق هذا الرجل يلح عليَّ، ويذكر ظروفه المرَضية، فاستحييت منه؛ إذ أنا في سن أولاده، وقلت له: خيراً ـ إن شاء الله ـ فودعني، وقد احترت في أمره، لا أدري ما أصنع، وبينا أنا أفكر في موضوعه إذ جاء طيف الشيخ علي الجمعة ماثلا أمامي ـ وكان وقتها رئيس قسم السُّنَّة ـ فقلت في نفسي: لم لا أطلب من الشيخ الشفاعة؛ فالشيخ له جاهه، وقد آتاه الله من كرم الأخلاق، ولين الجانب حظّاً وافراً، فلما جاء صباح الغد أتيت الشيخ وكلمته، فرأيت صدراً رحباً، ولساناً عذباً، وقال: تعرف الطالب وتزكيه؟ قلت: نعم، فنادى كاتبه، وكتب

شفاعة إلى المسؤول عن القبول، فسرعان ما قبل الطالب، ودهشت من كرم هذا الشيخ الكفيف وسرعة إجابته، فرحم الله تلك الطلعة الغراء، وصرت بعدها أتجرؤ على الشيخ في طلب الشفاعة لآخرين، فلا أراه يثقل عليه شيء من ذلك؛ بل يبادر مسروراً، وهذا عمله معي ومع غيري، فرحمه الله، وضاعف مثوبته.

وقبل مدة أرسل لي أحد الزملاء(١) ترجمة أحد الفضلاء لوالده، يقول فيها: «رأيت والدي بعد موته بأشهر على حال حسنة، فقال لي: إنه فسح له في قبره مد بصره، وأن ذلك بسبب حفظه للنعمة، قال: وأخبرني أن معهم الشيخ علي الجمعة، وأنه غفر له بسبب شفاعته للناس!»(٢).

فتعجبت من ذلك، وهذه الرؤيا من المبشرات، ورحم الله شيخنا علي الجمعة.

والشفاعة الحسنة ندب إليها الله في كتابه، فقال ـ سبحانه ـ: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥].

وذوو الجاه في بذل الشفاعة أقسام ثلاثة:

■ فمنهم من أغلق بابه دونها، فلا يشفع في نقير ولا قطمير، ولا صغير ولا كبير، وربما عدَّ ذلك عدلاً وسلامةً وكمالاً، وما علم أنه محروم.

(١) هو: الزميل الفاضل د. صالح القريري.
(٢) سيرة صالح بن علي الشويهي لابنه الشيخ أحمد (ص٢١).

■ ومنهم من يبذلها، ولكن لا يبذلها إلا لمن يرجو من ورائه مصلحة، فتراه يتحرى ذوي الجاه والمال، فإن لم يكن ثَمَّ مصلحة ثقلت عليه جدّاً، ولم تقوَ نفسه على بذلها!

■ ومنهم من يبذلها مسروراً، ويعطيها لمستحقها سواء أكان مشهوراً أم مغموراً، شعاره: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان: ٩]؛ فهذا خير الثلاثة.

وعلى رأس من أُعطي من الشفاعة الحسنة حظّاً وافراً في زماننا العلامة عبد العزيز بن باز ـ فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ لا يكل ولا يمل من بذل الشفاعة، وأخباره في ذلك مشهورة.

وربما امتنع بعضهم من الشفاعة الحسنة مخافة أن ترد شفاعته، فتكون سبباً للحرج بينه وبين المشفوع عنده، وهذا في الحقيقة ليس سبباً وجيهاً لترك الشفاعة، فقد روى أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اشفعوا تؤجروا؛ ويقضي الله على لسان نبيه ما أحب**»[(١)].

ومعنى الحديث الحث على الشفاعة، وأن الأجر حاصلٌ بها؛ سواء أقبلت أم لم تقبل.

والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم تقبل بريرة شفاعته لما شفع بأن ترجع إلى زوجها مغيث؛ فإنها لما عتقت خيَّرها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاختارت نفسها، فأخذ مغيث يطوف خلفها يبكي، ودموعه

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٣٢)، ومسلم (٢٦٢٧).

تسيل على لحيته، فقال النبي ﷺ لعمه العباس: «**يا عباس ألا تعجب من حب مغيثٍ بريرة، ومن بغض بريرة مغيثاً**» فقال النبي ﷺ: «**لو راجعته**» قالت: يا رسول الله تأمرني؟

قال: «**إنما أنا أشفع**» قالت: لا حاجة لي فيه[١].

وربما التبس عند بعضهم أمر الشفاعة الحسنة بالشفاعة السيئة؛ والفرق بينهما بيّن؛ فبذل العون لإنسان في حيازة حق، أو دفع ظلم، أو نيل خير مستحَق هي الشفاعة الحسنة؛ في حين أن الشفاعة السيئة هي الاعتداء على حقوق الآخرين وظلمهم بتقديم شخص على آخر بغير حق، أو إعطاؤه شيئاً وهو ليس أهلاً لأخذه، أو الإضرار بالمصلحة العامة.

والخلاصة: رحم الله من نفع الناس ولو بشطر كلمة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٨٣).